

السنة التاسعة والاربعون — آذار – نيسان ١٩٥٥

من الرسائل الصغرى للشيخ ابن عَبّاد الرُّنْدِي

نشرها الاب بولس نويا اليسوعي

عُرف الشيخ الصوفي ابو عبدالله محمد بن عبّاد النّفزي الحميري الرُّنْدي (٧٣٣ – ٧٩٢ هـ / ١٣٣٢–١٣٩٠ م) خاصة « بالتنبيه » الذي وضعه على «حكم» ابن عطاء الله السكندري († ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)، ذلك التنبيه الذي قال عنه الشيخ احمد زرّوق († ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م) أنه « بستان الفن وخزانة أحكامه وجامع لبه، لا يكفي غيره عنه ويكفي هو عن غيره[1] وان كل من كتب على هذا الكتاب (= الحكم) شيئاً ممن لقيناه او سمعنا به فانما هو دونه في القصد والتحقيق (...) وما انا في كل ما اكتبه الا خلف ركابه وسائل ممدود اليد اليه خلف ابوابه . »[2]

١) عن « سلوة الانفاس » للكتاني ج ٢ ص ١٣٩

٢) « كتاب مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على بعض ما يتعلق بالحكم » مخطوطة الاسكوريال رقم ٧٣٦ ص ٤ أ

غير ان « التنبيه » رغم شهرته ورغم ما له من المكانة العُليا في تاريخ التصوف الاسلامي[1] ، لا يكوّن أهمّ ما وصلنا من الشيخ ابن عبّاد — فقد جُمعت من قلمه رسائل صوفية اقل ما يقال فيها — حسب قول أسين پلاسيوس — انها لا مثيل لها في التراث الصوفي وانها فريدة من نوعها في هذا الفن الصوفي الذي لم يلتفت اليه بعد المستشرقون وغير المستشرقين . فلو لم يكن لها الا هذه الخاصية فهي خليقة بان تجلب انظار كل من له اقبال على تاريخ التصوف واهتمام بهذه النزعة الروحية .

ونحن نظن ان درس رسائل ابن عباد ضروري لكل من يريد ان يقف مباشرة على طوايا قاوب الصوفية ويتبين من خلال مكاتبات شخصية ما هو هذا الجهاد الاكبر الذي قاموا به في سبيل التقرب الى مولاهم وما هي الصعوبات النفسية التي يلاقونها والازمات الضميرية التي يمرون بها قبل الوصول الى الحرية الروحية . فان رسائل ابن عباد ليست الا حديث شيخ الى مريده او حديث واصل خبير الى سالك مبتدئ : يكشف له هذا عن حالات نفسه ويعلمه بما يقلق ضميره من قسوة في الصلاة او عدم رقة في تلاوة القرآن او تشويش البال في طلب الرزق او خوف من الموت او وسوسة في عمل الخير الخ ويجيب ذاك على كل هذه الحالات ناصحاً مُريده بما من شأنه ان ينير طريقه ويدله على خير واسطة للتقرب من الله . اجل ! إنّا نجد في كتب التصوف الشيء الكثير عن آداب الشيخ مع مريده وآداب المريد مع شيخه . غير انّا لا نجد الا في رسائل ابن عباد[2] نصوصاً تاريخية تدلنا على ما كانت في الواقع هذه الآداب وكيف كان الشيخ يعامل مريده في ارشاده وحول اي موضوع كان يدور هذا الارشاد.

وللشيخ ابن عبّاد مجموعـان من الرسائل دُعي الواحد منها « بالرسائل الكبرى » والآخر « بالرسائل الصغرى » لاختلافهما في الحجم. وقد طُبع المجموع

١) أنظر مقالة آسين پلاسيوس عن ابن عباد في مجلة « الاندلس » ١٩٣٣ ص ٧-٧٩

٢) على كل فلم نقع بعدُ في ايدي أحد رسائل صوفية تضاهي رسائل ابن عباد في القيمة والكمية وان كان هناك رسائل متفرقة قليلة العدد تشاجها مثل رسائل ابن العريف التي وقفنا عليها في فاس في خزانة صديقنا عبد السلام بن سوده صاحب « دليل مؤرخ المغرب »

الاول في فاس سنة ١٣٣٠هـ (٦٦٢ صفحة)[١] . اما الرسائل الصغرى — وهي خمس عشرة رسالة — فلا زالت غير مطبوعة ومنها اقتطفنا الرسالة التي نقدمها اليوم الى قراء «المشرق» . وان لم نستطع حتى الآن ان نحقق اسم المريد الذي وُجهت اليه هذه الرسالة فغالب الظن انها كُتبت الى المحدّث الرحّالة يحيى السرّاج[٢] († ٨٠٣ او ٨٠٥ هـ/١٤٠٠ او١٤٠٢ م) «الذي اكثر رسائل ابن عبّاد له» كما يقول احمد زروق .

اما طريقتنا في النشر فهي طريقة الأب بويج اعني اننا اتبعنا مخطوطة واحدة ثم قابلناها بالمخطوطات الاخرى. واليك كلمة عن كل واحدة من هذه المخطوطات :

إس = مخطوطة الإسكوريال رقم ٧٦٠ ، ٣ً ص : ١٨٣ أ — ٢٣٥ أ (انظر وصفها في قائمة الاسكوريال لدرنبور) . هي المخطوطة التي اتبعناها ها هنا ولم نجد عنها الا ثلاث مرات لتكميل المعنى وقد أشرنا اليها بين القراءات المخالفة . مخطوطة بلا تاريخ ظنها الاستاذ أسين بلاسيوس معاصرة للشيخ ابن عباد لما يُذكر في اول المجموع انه كان مُلكًا للسلطان ابي فارس . غير ان هذا ابا فارس ليس المريني كما خُيّل الى الاستاذ أسين بل السعدي ابن ابي العباس احمد المنصور الذهبي[٣] (١٠١٢ هـ / ١٦٠٣) الذي خلف اباه بضع اسابيع على مرّاكش . وهو أخو مولاي زيدان المنتصب منه بعد ذلك سلطنة مراكش . وفي أيام هذا الأخير جرت الحوادث التي أدّت بالمكتبة الأميرية الى الاسكوريال كما هو معروف . وان لم تكن هذه المخطوطة من العهد المريني وأقدم من مخطوطاتنا الاخرى فهي على كل حال معاصرة لأقدمها[٤] ومما يدل على قيمتها هيئتها المتقنة وخطها الاندلسي الفاخر ودخولها الخزانة الأميرية . لهذا فضلناها على اخواتها رغم ما فيها من السهو الدال على ان المخطوطة لم تقابل مع الأصل بعد كتابتها[٥] .

---

١) وقد اقتطف منها الاستاذ ماسينيون رسالتين في «المقتطفات الصوفية» (Recueil...) ص : ١٤٦—١٤٨

٢) هذا ما يُستنتج من بعض كلام الشيخ ابي عبدالله محمد بن السكّاك (٨١٨ هـ /١٤١٥) أحد تلاميذ ابن عباد . انظر «كتاب الأساليب» مخطوطة الاسكوريال رقم ٧٨٦ص١٢٧ ب

٣) يشهد بذلك ما نقرأ في اول المجموع : «ملك لله بيد عبده ابي فارس امير المؤمنين [ابن] احمد المنصور أمير المؤمنين . . . »

٤) ونحن نميل الى الظن بان هذه النسخة هي التي تشير اليها مخطوطة سيدي العابد الفهري الفاسي قائلة بانها بخط الشيخ يحي السراج . فجميع القراءات الشاذة التي نذكرها هذه المخطوطة ونعزيها الى نسخة السراج نجدها في نسخة الاسكوريال .

٥) كما قُوبل شرح الحكم في المجموع عينه حيث نقرأ في آخره : «بلغت المقابلة من اصل صحيح جهد الاستطاعة فصحت بصحته» ص : ١٨٢ ب .

ر١ = مخطوطة خزانة الرباط العامة رقم ١٧١٧ ص ١ ب - ٧٥ ب (انظر وصفها في القائمة) . يُقرأ في اخرها : « انتهى كتاب الرسائل الصغرى (. . .) على يد العبد الفقير الراجي عفو مولاه القدير عبد الرحمن بن ابي القاسم بن ابي علي بن احمد الجابري ثم المصلّي نسبا المالكي مذهبا (. . .) وكان الفراغ من نسخه ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من شهر شوال الذي من عام اثنين والف سنة . . . » (١٦٩٣ م) .

ق = مخطوطة كلية القرويين بفاس رقم ٧٨٧[1] ص : ب - ٣٢ ب . طولها ٢٨ س وعرضها ٢٠ س . في كل صفحة ٢٣ سطرًا . بخط مغربي سيّىء . عاث فيها العث في اماكن كثيرة . وهي بغير تاريخ لانه يتبعها مجموعة الرسائل الكبرى وقد سقطت منها الصفحات الأخيرة . غير ان علينا تاريخ دخولها خزانة القرويين اذ قد أوقفها على الجامع ابو العباس احمد المنصور الذهبي سنة ١٠٠٨ ه / ١٥٩٩ .

ف = مخطوطة سيدي العابد الفهري الفاسي مكتوبة بتاريخ ١٠٨٣ ه / ١٦٧٢ م وبخط مغربي جميل . وقد كُتب في اولها بخط آخر ان ناسخها الشيخ الشهير ابو عبد الله محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت ١١٠٩ ه / ١٦٩٨)[2] . على كل فقد نُسخت باعتناء كبير وشُكّلت فيها جميع الكلمات . ويظهر من بعض محوطاتها انها نُسخت عن أصل نُسخ عن أصل آخر « عليه خط المؤلف » . ونحن نشكر صاحبها الكريم الذي ساعدنا على مقابلتها مع مخطوطة الاسكوريال عند مرورنا بفاس .

ك = مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتاني مكتوبة بتاريخ ١١٢١ ه / ١٧٠٩ كما يقرأ في آخرها : « وكان الفراغ من نسخها عشية يوم الخميس سنة احدى وعشرين ومائة وألف على يد كاتبه عبد الله تعالى . . .[3] غفر الله (له) ولوالديه ولجميع المسلمين آمين » . وهي بخط فاسي جيد . تقع في مائة صفحة تحتوي كل واحدة منها على ٢٣ سطرًا . وهي النسخة الوحيدة التي لم نرها باعيننا انما لنا منها صورة « ميكروفيلمية » .

ر٢ = مخطوطة خزانة الرباط العامة رقم ٨٩١ ص ٤٣ أ - ٩٤ ب وهي مبتورة جدًا تحتوي فقط على بعض الرسائل منها كاملة ومنها غير كاملة . وبين الرسائل الكاملة الرسالة التي ننشرها هنا . وهي بلا تاريخ غير انها تظهر قديمة . فيها سهو كثير وفيها ايضًا قراءات حسنة لا توجد في غيرها (انظر وصفها في القائمة) .

ر٣ = مخطوطة خزانة الرباط العامة رقم ٦٧٣ ص ٥٨ ب - ١١٩ أ (انظر وصفها في القائمة) وهي بلا تاريخ غير ان الورق والحبر والكتابة يدلّون على انها حديثة جدًا . وبعد مقارنة بعض اقسامها مع المخطوطات السابقة رأينا انها لا تُفيد شيئًا فتركناها جانبًا .

---

١) يقابل في قائمة الاستاذ بيل (Bel) ١٩١٨ م رقم ١٨٤٩ . في هذه القائمة تُذكر نسختان من الرسائل الصغرى . ولكن الواحدة منها لم يبق لها أثر !

٢) انظر ترجمته في كتاب الاستاذ ليڤي بروفنسال على « مؤرخي الشرفاء » (Les historiens de Charfa) ص ٢٧٣-٢٧٥ ، وفي « صفوة من انتشر » للإفراني ص ٢١١ ، وفي « سلوة الانفاس » للكتاني ج ٣ ص ٣١٦ .

٣) قد أُمحي هنا اسم الناسخ .

س = مخطوطة سيدي عبد السلام بن سوده (ص ١ ب – ٣٩ أ) مكتوبة بتاريخ ١٢٩٥ ﻫ / ١٨٧٨ م وبخط فاسي دقيق . يظهر انه كان بيد الناسخ اصلان : أصل نجهله وأصل هو نسخة سيدي محمد المهدي الفاسي (انظر ص ٣١ ب) . على كل فهي تشابه كل المشابهة هذه النسخة الأخيرة . غير ان ناسخها زاد في اول كل رسالة : «وله ايضاً رضي الله عنه» الشيء الذي لا يُرى في غيرها .

إد = مخطوطة صديقنا الاستاذ إدريس الادريسي مكتوبة بتاريخ ١٢٩٨ ﻫ / ١٨٨١ م وبخط فاسي صعب القراءة ، قابلناها بمخطوطات إس-ف-س فرأينا انها لا تأتي بشيء جديد فتركناها جانباً لهذا ولحداثة تاريخها .

ونحن ان قابلنا هذه المخطوطات بعضها ببعض نجد من جهة مخطوطة الاسكوريال ومن جهة اخرى جميع المخطوطات الاخرى . وفي هذا القسم الثاني نجد تشابها من جهة بين ف و إدس ومن جهة اخرى بين ق و رب ١ ك رب ٢ رب ٣ وان كان رب ٢ يختلف بدوره عن هذه الاخيرة بقراءات كثيرة .

ولنلاحظ اخيراً ان كل هذه المخطوطات جيدة بالعموم وانه قلما نجد بينها اختلافاً يغيّر جوهر معنى الكلام . وان منها من تُسجل بالهامش اختلاف القراءات وقد أشرنا اليه بحرف خ كما اشرنا الى بعض الطُرر التي ذكرناها بحرف ط .

فرموزنا اذن هي هذه :

إس = مخطوطة الاسكوريال .

رب١ = مخوطة الرباط رقم ١٧١٧ .

ق = مخطوطة القرويين .

ف = مخطوطة سيدي العابد الفهري الفاسي .

ك = مخطوطة الشيخ الكتاني .

رب٢ = مخطوطة الرباط رقم ٨٩١ .

س = مخطوطة بن سوده .

خ = قراءة مختلفة ذكرت على هامش نسخة . نذكر هذا الحرف بعد الحرف الرامز الى مخطوطة .

ط = طرّة ذكرت على هامش نسخة . نذكر هذا الحرف بعد الحرف الرامز الى مخطوطة .

+ = كلمة زائدة .

– = كلمة ناقصة .

فيما يخص القرآن مراجعاتنا ترمز الى طبعة فلوگل

ليون ١٩٥٥/١/٩ . الأب نويّا اليسوعي

[213.v.] كتاب[1] تضمّن التوصية والنصيحة لرجل اصابه ضيق في [219r.] صدره[2] بما[3] هو عليه من احوال غير مرضية عنده مع انه يريد الانتقال عنها الى احوال اخر مرضيـة عنده ومؤثرة له فلم يقدر على ذلك .

الحمد لله بقدر نعمته — اما بعد فقد وصلني كتابكم وانتم تصفون فيـه احوالكم ونِعماً[4] فعلتم — وحاصل ما ذكرتموه ان ما اتصفتم به من الصفات واستُعمِلتم فيه من الحالات هي مكروهة اليكم غير محبوبة لا ترضونهـا للتقرب[5] بها الى ربكم . وان ما توهمتموه او[6] تخيلتموه بعقولكم من احوال لستم عليها هي محبوبة اليكم غير مكروهة تتمنون ان لو كنتم عليها ووجدتم السبيل اليها .

وقد اتعبتم يا اخي انفسكم وأسأتم الادب في معاملاتكم[7] وكددتم[8] افكاركم فيما تذهب فيه اوقاتكم مجاناً بلا فايدة . بل ربما اضر ذلك بكم اذ[9] اشتغلتم بما هو حجاب عن مقاصد الاولياء العارفين وفيه التعبد[10] من رب العالمين . وانتم عندي معذورون في ذلك اذ سبقكم الى ذلك ناس كثيرون ممن تقدم وتأخر ولعلكم لا تجدون الا ذلك . وسبب وقوعهم في ذلك سبقية نظرهم الى ان لهم حولاً وقوة فـيما يتصرفون فيه من الحركات والسكنات وشدة غفلتهم عن الاول المُدبّر والمُصرِّف المُقدِّر حتى أداهم ذلك الى اغاليط

١) س : وله ايضاً رضي الله عنه ونفع به كتاب . . .
٢) رب١ : صدر .
٣) ق : لما ؛ س ، مما .
٤) س خ : ونعمَ ما .
٥) ق : للقرب .
٦) ق : و .
٧) ق ك رب١ : معاملتكم .
٨) س ط : بخط سيدي المهدي الفاسي « وكددتم » .
٩) رب١ : اذا .
١٠) لعلّها « التبعّد » ؟ ؛ ف ق ك رب١ رب٢ : البعد .

وجهالات حادوا بها عن الصراط المستقيم وهم لا يشعرون .

ثم هم في ذلك فرق . اما من كان منهم[١] من اهل المعاملات الظاهرة من صلاة او صيام او حج او عمرة او ذكر او صدقة او غزو او تعلم علم او قضاء حاجةِ مسلمٍ او غير ذلك من افعال البر القاصرة او المتعدية فمن أُستُعْمِل منهم في شيء من ذلك ولم يجد له حلاوة ولم يعرف خيريّته عند ربه حسبما ذكرتموه عن انفسكم فانه يقع له من الاحوال الردية ما وقع لكم . ومنهم من يرتضي حاله ولا يحب زواله ولكنه [219 v.] اذا فتر عنه او اعتراه كسل او ملل او حيل بينه وبينه بسبب من الاسباب تضيق[٢] درعه[٣] ويتشوش عليه وقته وتضطرب اموره ويرى انه قد طُرِد وأُبعِد . ومنهم من لا يكترث بذلك ولا يبالي به ويرى انه قادر على العودة اليه فيما يستقبل . ومنهم من يعيّن لذلك زماناً او مكاناً يفعله فيه كأن الامر في يده[٤] فاذا جاء ذلك الوقت او حصل في ذلك المكان صادفه وقد اعتاد الغفلة والفتور فطالب[٥] نفسه بالنجاز ما وَعَدَت والوفاء بما شَرَطَتْ فلم تفِ بذلك ولم تنجز موعده بل سوّفته الى وقت آخر وهكذا يتمادى به الامر .

وكذلك من لم يكن أخذَ في شيء من العبادات والمعاملات ولكنه اذا قرع سمعه شيء من حكايات السلف وما كانوا عليه من الاحوال السنية والاعمال المرضية يسبق نظره الى ان له قوة على ذلك لو اخذ فيه ثم يقول : سآخذ فيه اذا تفرغت من شغل كذا واذا[٦] كنت على حال كذا ويقطع عمره بالتسويف كما ذكرنا . ومنهم من يعتقد أنه مُخلِط لا يرى انه على شيء اما ان يكون[٧] حقيقةً اعني ان يكون كذلك في نفس الامر او مجازاً وهو ان يكون ذلك في اعتقاده فقط فاذا سمع شيئاً من ذلك او رأى من اتصف به يقول : مثلي

١) رب٢ : — منهم .
٢) الأخر : يضيق .
٣) الاخر : ذرعه .
٤) رب١ : يديه .
٥) رب٢ : ويطالب .
٦) رب ١ ك : او اذا .
٧) ق رب ١ رب ٢ : — ان يكون

لا يُعطى ذلك ولا يطمع ان يدركه ولا يقدر عليه فتسخو نفسه بتركه ولا يحدّث نفسه بالاخذ فيه . وجميع هذه الجهالات رأيناها في انفسنا وشاهدناها في غيرنا وسبب ذالك غلبة ما ذكرناه على قلوبنا .

واما العارفون والمحققون من اهل المعاملات الباطنة فقد سلموا من هذه الجهالات وذلك انهم عملوا على تصحيح التوحيد أوّلَ مرة بان التزموه عقدا ثم ابتهلوا الى ربهم بألسنتهم وقلوبهم في تحقيقه لهم حالا وحرصوا على ان يستصحبوه في احوالهم جهدَ استطاعتهم . فلما علم ذلك منهم رحمهم بان جعلهم لا يرون لانفسهم حولا ولا قوة فيما ياتون او يدرون[1] بل[2] تولى حفظهم وكلاءتهم وتكفل بمصالحهم وكفايتهم لانهم عبيده الصالحون لخدمته . وقد قال[3] تعلى : « أَلَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ »[4]. وقال تعلى : « إنَّ وَلِيَّ اللهُ الذي نَزَّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ »[5] وقال تعلى فيما يروى عنه : انا عند ظن عبدي [220 r.] بي . فسَهَّلَ عليهم الصعب ويسّر عليهم العسير وارتجهم وقتهم النفيس الخطير وأحلهم في نعيم وملك كبير فلا يتحركون ولا يسكنون الا به ولا يعتمدون الا عليه ولا يرفعون همتهم[6] الا اليه[7]. وهذه هي الخاصية التي سبقت بها هذه الامة سايرَ الامم . وفي بعض الاحاديث النبوية : ان الله تعلى اوحى الى عيسى عليه السلام اني باعث بعدك امةً ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم . فقال عيسى عليه السلام : يا رب وكيف ذلك ولا علم ولا حلم فقال اعطيهم من علمي وحلمي[8] . وبهذه الخاصية ايضاً اتصفت هذه الملة[9] المحمدية بالسماحة والسهولة

١) الاخر : يذرون .
٢) ربـ١ : بان .
٣) ربـ١ : + الله .
٤) قرآن : ٣٩ : ٣٧ .
٥) قرآن : ٧ : ١٩٥ .
٦) الاخر : همهم .
٧) الاخر : + لحسن ظنهم به .
٨) ف ربـ١ ك س ربـ٣ : حلمي وعلمي .
٩) ربـ٣ : الامة .

وهي وان كانت سهلة المتناول قريبة المرام فلا ينكر ايضاً مـا فيها من التكاليف الشاقة ، والتسهيل العام لا يكون الا بهذه المشاهدة التي ذكرناها . قال الله عز وجل : وَمَا جَعَلَ عَلَيكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ »[1] وملته انما هي الاسلام والتوحيد . وقال نبينا صلعم : « بُعِثْتُ بالحنيفية السمحة وهي ملة ابراهيم عليه السلام » . وقال بعض العارفين[2] في معنى قوله صلعم : « يسروا ولا تعسروا » معناه دلّوهم على الله ولا تدلّوهم على غيره فان من دلّك على الدنيا فقد غشّك ومن دلّك على الاعمال فقد أتعبك ومن دلّك على الله فقد نصحك . والمقصود من هذا ان تعلموا ان هذه الطايفة المذكورة يقلّ الغلط فيهم من هذا الوجه الذي ذكرناه لغيبتهم عن شهود انفسهم ورؤية حولهم وقوتهم ولولا ذلك لم يكن لهم حال ولا مقال[3] . فاذا وقع ذلك منهم نادرا تُدُورِكوا بالحفظ والكلاءة فثبتوا في مقاماتهم ووقفوا على مراكزهم عناية من الله بهم . واما اهل الكذب والدعوى فـلا كلام معهم . وقد علمتم[4] بهذا من اين وقع الغلط على هذه الطوايف وباذا سلم من سلم وما ذاك الا بهذه الحالة العظيمة التي اختص بها عباد الله وبها صاروا اولياء الله[5] .

فاذا علمتم موقعها من الدين وانها الوسيلة الى القرب من رب العالمين وتشوفتم الى ان ترتّقوا الى هذا المقام الكريم وتنتظموا في سلك من آتاه الله بهذا[6] الملك العظيم [220. v] فستعلمون مما قررناه انه لا سبيل لكم[7] اليها الا عليها ولا وسيلة لكم اليها الا بها كما قال بعضهم : « عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي » . ويُحكى انه سُئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل

---

١) قرآن : ٢٢ : ٧٧ ؛ ف ق رب١ ك : + وَفِي هَذَا ؛ رب٢ : + لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيكُمْ .

٢) إس ط : هو سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه .

٣) ق رب١ ك رب٢ : مقام .

٤) ق رب١ ك رب٢ : فقد .

٥) ق رب١ ك : له .

٦) ق رب١ ك رب٢ : هذا .

٧) إس : اليكم .

له : أعرفت الله بمحمد ام عرفت محمدًا بالله فقال: لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكانَ محمد اوثق في نفسي من الله ولكن الله عرفني نفسه بنفسه . فالان اذ ظهر لكم اتحاد المتوسل به والمتوسل اليه على وجه لا تفهم كيفيته العقول ولم تروا في ذلك تباينا ولا تغايرًا[1] فقد ظفرتم بحالة هي غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين اذ لا يمكن التوسل الا بوجود حاضر قريب . فاذا كان المطلوب موجودًا عندكم وحاضرًا معكم وقريبًا منكم فاذا تطلبون من بعده وماذا[2] تتوسلون به سواه وما مَثَلكم في ذلك الا كمثل رجل بيده ذرة خطيرة لا يعرف لها قدرًا بل يحسبها في عداد الاحجار التي يعرفها بل لا شعور له بها وهو يشكو الضر والفقر[3] ويتكفف للناس[4] . فبينما هو كذلك اذ انكشف له حقيقة امرها وانه متمكن من ان ينال بها درجة الملك فلا تسئل عما هو فيه من الغبطة والسرور والنعمة والحبور . وقد قالوا : « ليس العجب من السيّارة حيث طلبوا الماء فوجدوا يوسف[5] وانما العجب من مذنب طلب المغفرة فوجد الله » . قال الله تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيماً » .[6]

وقد قرّبتُ لكم العبارة عن هذا الامر لعلكم تفهمونه والا فهو الطف من ان تضبطه عبارة او تحمله اشارة ولكل شيء سبب قدر الله[7] سببيته من غير حول من العبد ولا قوة . فقد تكون معرفتكم[8] واعتقادكم اني احسن الارشاد الى ما طلبتموه وكتبتم الي بما كتبتم به وجوابي لكم على ذلك اسبابا في حصول مطلوبكم من غير حول منا ومنكم ولا قوة . وسترون بهذا النظر احوالكم كلها جارية هذا المجرى الى الله ان يرزق عبده المومن الا

١) ق ف رب ١ : تباين ولا تغاير ؛ ف ط كذا .
٢) الآخر : ولماذا .
٣) ق رب١ ك رب٢ : الفقر والضر .
٤) رب١ رب٢ : الناس .
٥) انظر قرآن : ١٢ : ١٩ .
٦) قرآن ٤ : ١١٠ .
٧) ق رب١ ك رب٢ : + تعالى .
٨) ف ق رب١ ك : + لي ؛ رب ٢ : + بي .

من حيث لا يعلم فنيمَ العنا. والتعب والكد والطلب وعلى مَ الفرح والتأسف والندامة والتلهف « دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ »[1] . اما علمتم[2] ان في الله عوضاً من كل فايت وخلفا من كل ذاهب[3] بل من وجد الله فما فقد شيئاً ومن فقده فما وجد شيئاً .

فهذه هي القاعدة التي بنى عليها امورهم العارفون المحققون [221. r.] فكل ما يعتريكم من الوساوس والافكار وما يحجبكم عن نيل المراد وقضاء الاوطار فانما ذلك لما غاب عنكم من هذا التحقيق . فاذا فتح الله عليكم في فهم ما ذكرناه واخذتم به انفسكم ان تكونوا عليه في مواردكم ومصادركم كانت عندكم عبادات[4] سرمدة وقربات مؤبدة لا تتخللها[5] فتور ولا ملل من غير تعب منكم ولا نصب . وهذه هي الغنيمة الباردة والتجارة الرابحة والمزيد الذي اوجبه الشكر الذي انعم به عليكم من رؤيتكم الاشياء بالله ومن الله فطوبى لكم اذ ذاك وحسن مآب .

فتلقوا يا اخي ما قلناه لكم بحسن القبول وقدموه على كل معقول ومنقول واعلموا ان العقل لا يدركه والنقل لا يصرّح به بل هو من العلوم اللدنيّة التي أودعها الله في غيابات القلوب وقد رُوي ان في بعض الكتب المنزلة على بعض انبياء بني اسرائيل : « لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في الارض من يصعد به ولا في البحر من يعبر به . العلم مجعول في صدوركم موضوع في قلوبكم فتادبوا بين يديّ بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق النبيين الربانيين اظهر العلم من قلوبكم على السنتكم حتى يعمكم ويغمركم » . فهذا ما اردنا ان نذكره لكم بين[6] يدي الكلام على احوالكم ليكون اصلاً ثابتاً يُرجع اليه واساساً يُبنى عليه .

---

١) قرآن ٣٧ : ٨٤—٨٥ .
٢) رب٢ : — علمتم .
٣) رب٢ : هالك .
٤) رب٢ : عبادة .
٥) الاخر : يتخللها .
٦) رب٢ : — بين . . . حسن .

امـا ما ذكرتموه من[١] ترتيب احوالكم في ليلكم ونهاركم فذلك كله حسن ينبغي[٢] لكم ان تشكروا الله تعلى على هدايتكم[٣] اليه واستعمالكم فيه فان جميع ذلك قرب الى الله عز وجل قلّ من يظفر بها . واثما تدخل عليكم الوسوسة في ذاك والتشويش منـه حتى لا تجدوا له حلاوة ولا رأيتم عليه طلاوة من قبل انكم فاقدون للمشاهدة المذكورة[٤] غافلون عنهـا . فلو اعرضتم عن نظركم الى انفسكم في ان تروا لها حولا او[٥] قوة او تنيلوها حظاً وشاهدتم انفراد الله تعلى بتدبير امركم وحسنتم الظن به لرأيتم من نعم الله تعلى عليكم وضروب تخصيصاته[٦] لكم ما يذهلكم عن تطلب امر وراء ذلك وان[٧] تصغوا بهممكم اليه . ومبدأ ذلك اعني ما ظهر لنـا من النعم ان اخرجكم من ظلمة العدم الى نور الوجود ثم غذاكم بلطفه ورباكم بحنانـه ولطفه[٨] الى ان عقلتم وفهمتم [221 .v] ثم حلاكم بحلية الاسلام والايمان وتعرف لكم بواضح[٩] البرهان وجعلكم من حملة كتابه وواجهكم بكريم خطابه وجعلكم محلاً لظهور صفاته واسمايه واهلاً لقبول تكاليفه وتصديق انبيايه ثم استعملكم في التعلم والتعليم ورقاكم الى هذا المنصب العظيم الى غير ذلك من انواع النعم الظاهرة وما غاب عنا وعنكم . اكثر كلّ ذلك من غير وسيلة منكم ولا استحقاق بل بمحض كرمه وفضله وفي كل واحدة من هذه النعم نعم لا تحصى نفعاً ودفعاً . « وإن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللهِ لا تُحصُوها »[١٠] . فمن شاهد هذه النعم ورأى نفسه فيها طفيلياً استغرقه الفرح بها والشكر عليها ومنعه ذلك من التشوف الى ما لم يوته الله تعلى وما[١١] يكون فيه هلاكه ولا يشعر بذلك

١) رب ٣ : في .
٢) رب ٣ : فينبغي .
٣) إس : هداكم .
٤) رب٣ : — المذكورة .
٥) ق : و .
٦) رب ٣ : تخصيصه .
٧) ق : او .
٨) ق رب١ ك رب٣ : وعطفه .
٩) ق : بواضح .
١٠) قرآن : ١٦ : ٣٧ .
١١) ق رب١ ك رب : + ربما .

ولا شيء احب الى الله تعلى من قيام العبد بحكم حاله التي هو عليها فبذلك تظهر عبوديته ويتحقق ادبه . قال عمر[١] بن عثان المكي رضي الله[٢] عنه : « التصوف ان يكون العبد في كل وقت بما هو اولى به في الوقت » ونعني بذلك ان يكون العبد حاضرًا مع ربه عز وجل في ذلك قائمًا بحقوق الشرع فيه وكيفية حضوره مع ربه هو ما ذكرناه من معاملات اهل التوحيد . وكيفية قيامه بحقوق الشرع ان يتبع ما رسمه علماء الظاهر في المسايل الفقهية فان قدر على العمل بما اتفقوا عليه من غير حرج ولا ضيق صدر فقد حاز اعلى مرتبة في التقوى والورع ونال درجة المتقين والورعين. والا اخذ بالخلاف بعد ان يتقن[٣] علم ذلك على اربابه لان اختلاف العلماء رحمة في مثل هذا ولولا ذلك لهلك اكثر الناس . والامر في هذا قريب لمن نصح نفسه واقتصر من الدنيا على اليسير ولم يسترقه بطنه ولا[٤] فرجه واذا يصعب الامر على المتوسع في الدنيا ومن تدخل عليه من وجوه كثيرة فمثل هذا لا يسلم من ارتكاب مساخط الله تعلى بجهله وغفلته. ومن تشعبت به همومه في اودية الدنيا لم يبال الله تعلى في اي اوديتها هلك .

ولا شك ان تعليمكم[٥] الاولاد من افضل القرب الى الله تعـلى لكن اخذكم الاجرة على ذلك مما اختلف فيه العلماء. الا ان اكثرهم على جوازه فما اخذتموه ممن يُرضى كسبه او هو مجهول لا يُدرى حاله فهو حلال . فان اضفتم الى ذلك ان لا تستقصوا [222. r.] في طلب الاجرة منهم وتاخذون[٦] ما عفى وكانت همتكم في مراعاة تعليمه تقربًا الى الله تعلى فقط كان ذلك حسنًا منكم وقد مضى عليه ناس صالحون عملهم مثل عملكم وهو الذي اشار اليه ابن العريف فيما حكيتموه عنه . وعلامة صدقكم في ذلك ان لا تميل قلوبكم الى من يعطيكم اكثر من ميلها الى من لا يعطيكم او يعطيكم التافه اليسير ولا تحبون بقاءه عندكم اكثر من بقاء غيره .

١) الاخر : عمرو .
٢) رب ١ ك : + تعالى .
٣) رب٢ : يتيقّن .
٤) ك : و .
٥) ف : تعليم .
٦) ك رب٢ : وتأخذوا .

فهذه هي العلامة القاطعة فيما ذكرناه . وتستعينون[١] على هذه الحالة ان[٢] تعلموا ان رزقكم لا بد ان يصلكم[٣] حتماً وان الحرص لا يزيد فيه وعدمه لا ينقص منه وان رزق الآخرة هو الذي ينبغي ان يُحرص عليه ويبذل المجهود في طلبه . « وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى »[٤] . ثم انتم متمكنون من هذا فلِمَ تفرطون فيه . وما اخذتموه على[٥] هذا الوجه يبارك لكم فيه حتى يكون الدرهم الواحد يقوم مقام[٦] مائة الف درهم . فان تحققتم بما ذكرناه اولاً من المشاهدات التوحيدية كفاكم ذلك في حصول هذا الطلب[٧] وغيره . ويبقى عليكم النظر في وجه سياسة الاولاد وتأديبهم على اختلاف اطوارهم فان منهم الذكي والغبي والقريب والاجنبي والشريف والدني والفقير والغني الى غير ذلك من اختلاف احوالهم . وكل واحد منهم يقتضي منكم حقاً توفوه له ولا تبخسوه شيئاً . وانما تقدرون على ذلك بان تكون فيكم اربع خصال : ايمان راسخ وذهن ثاقب وعلم متين وخلق حسن . فباستكمال هذه الاربعة فيكم تقدرون على ان تنزلوا كل واحد في منزلته وتعاملوه بالمعاملة اللائقة به . فان لم تستوفوا ذلك فاسلكوا سبيل الاحتياط والمسامحة ما امكن فلان تخطئوا في العفو خير من من ان تخطئوا[٨] في العقوبة . وهذا كله فقه حالي لا سبيل الى ضبطه .

واما ما ذكرتموه من انكم اذا تلوتم القرآن لا تجدون رقة وربما طلبتم انفسكم بالبكاء فلا تبكون فانما سبب ذلك غفلتكم حين قراءتكم عمن[٩] هو كلامه وعلى من انزل وفيمَ انزل . وكيف يجيئكم البكاء واسبابه ضعيفة عندكم وقد وصف الله تعالى[١٠] الواجدين لذلك عند تلاوة القرآن بصفات جليلة

١) رب١ : وتستعينوا .
٢) الأخر : بان .
٣) ف رب١ ك : يصل اليكم .
٤) قرآن ٢٠ : ١٣١ .
٥) إس : — هذا . . . على .
٦) ف : — مقام .
٧) ف رب١ ك : المطلب .
٨) ف خ س : تصيبوا .
٩) ف : عن من .
١٠) رب١ رب٢ : — تعالى .

فقـال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتلَى عَلَيهِم يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبحَانَ رَبِّنا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُم خُشُوعاً »[1] . فوصفهم [222. v.] اولا بايتاء العلم وبالمعرفة[2] بالله تعلى حيث نزهوه وعظموه بقولهم سبحان ربنا . وبغاية عبوديتهم له بخرورهم للاذقان سجدا وبيقينهم بالدار الاخرة والجزاء فيها بالثواب والعقاب[3] ثم وصفهم بالبكاء والخشوع وقال تعلى : « وإذا سَمِعُوا ما أُنزِلَ إلَى الرَّسولِ تَرَى أَعيُنَهُم تَفِيضُ مِن الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِ »[4] الى آخره الايات فيهم . فوصفهم بمعرفة الحق والايمان به واللجا الى الله تعلى والافتقار اليه والطمع في القرب منه والاحسان في معاملته . وقد فسّر رسول الله[5] صلعم « الاحسان » في الحديث الصحيح بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » . وهذا كله راجع الى المشاهدات[6] المذكورة فاجعلوهـا من بالكم وابنوا عليهـا صالحات اعمالكم تحمدون عاقبتها في حالكم ومآلكم كما ذكرناه لكم . وما يسّر عليكم من التلاوة بانشراح من صدوركم فذلك نعمة عظيمة كان في ذاك رقة او لم يكن .

واما ما ذكرتموه من انكم خايفون من الموت ان يأتيكم على ما انتم عليه من الاحوال فذلك شيء حسن وهو من نعم الله تعالى عليكم فاشكروا الله عليه وسلوه المزيد منه لانه من اقيم في مقام الخوف كان عاقبته الامن . يقول الله تعلى فيما يُروى عنه : « لا اجمع على عبدي خوفين ولا أمنَين : مَنْ خافني في الدنيا امّنته في الاخرة ومن امنني في الدنيـا اخفته في الاخرة » . ولانه ايضاً من صفات العلماء بالله واهل رضوانه . قال الله تعلى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ »[7] . وقال تعلى : « رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ ذَلِكَ

---

١) قرآن : ١٧ : ١٠٨–١٠٩ .
٢) رب ١ ك : والمعرفة .
٣) رب٢ : — والعقاب .
٤) قرآن : ٥ : ٨٦ .
٥) ك : النبي صلعم .
٦) رب٢ : المشاهدة .
٧) قرآن ٣٥ : ٢٥ .

لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ »[1] . واحسن من ذلك الخوف[2] ان تخافوا ان تلقوا ربكم وانتم تريدون غير ما اراده بكم مما فيه صلاحكم .

واما توهمكم ان ذلك يوديكم الى القنوط فذلك توهم باطل لان الرجاء يمنع منه والخوف والرجاء من مقامات العلماء العارفين[3] والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من صفات الجاهلين الغافلين . وسبب غفلتهم وجهلهم رؤيتهم لانفسهم في اثمالهم الحسنة او السيئة ولو نظروا الى الواحد الاحد لاستوت الاحوال عندهم ولكانوا موصوفين بالخوف الذي يصحبه الرجاء وبالرجاء الذي يلازمه الخوف فاعلموا ذلك واعملوا به ولا تنظروا الى[4] اعمالكم فتتهمون فيها وقعوا فيه والعياذ بالله .

واما [223.r.] ما ذكرتموه[5] من انكم اذا اخذتم في شيء من اعمال البر لا تدومون عليه بل تكسلون عنه وتتركونه لشغلكم بالسيد والاهل حسبما ظهر لي من كلامكم فانما ذلك لفقدانكم المشاهدات[6] المذكورة فلو كنتم متحققين بها ثم اعتراكم الفتور والكسل[7] عنها نادراً بامر من الامور لكانت لكم معاملات اخر تقوم مقامها بل تزيد عليها من غير ان يدخل عليكم تلبيس او غرور ولو جرت الامور على وفق ارادتكم ربما لا تأمنون ذلك فيها . فثقوا بربكم وحسنوا به الظن فهو اعلم بالمصالح منكم . وقد روي عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه[8] انه قال : « نمت ليلة عن وردي فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة ايام عن الفرايض فلما استيقظت سمعت هاتفاً يقول :

كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا[9] لك ما فات بقي ما فات منا

---

١) قرآن ٩٨ : ٨
٢) ك : – الخوف .
٣) ق : والعارفين .
٤) رب١ : – الى .
٥) ق رب١ رب٢ : ذكرتم .
٦) ق : المشاهدة .
٧) رب١ : الكسول .
٨) ق : – رضي الله عنه .
٩) رب٢ : غفرنا .

ثم قيل لي يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا لله[1] فاسترحت ». ومع هذا فما فتح عليكم[2] من العبادات[3] وان قلّتْ فاشكروا الله عليها فانها لا تضيع عنده . وقد قال سيدي ابو العباس المرسي : « قليل العمل مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس » .

واما ما ذكرتموه من الوسوسة التي كانت تعتريكم وبقي عليكم منها بقية فاعلموا ان ذلك من البلايا التي يبتلي الله بها بعض عباده ويختص بذلك اهل[4] الدين منهم فلا يزال العدو يلقي الوساوس في قلب الواحد منهم حتى يوقعه اما في البدعة او الكفر او اختلال العقل . واقل ما يصيبه به ان ينغص عليه عيشه ويمنعه وجدان راحته وكل ذلك بقضاء وقدر فنعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء .

وسبب ذلك فقدانهم للمشاهدات[5] المذكورة فلو تحققوا بذلك[6] لم يجد الشيطان سبيلا اليهم لانهم عباد الله حقًا . وقد قال تعالى : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ »[7]. وقال تعلى : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .[8] فان وسوس اليهم رجعوا الى ربهم فصرفه عنهم واستعاذوا به فاعاذهم . قال الله تعلى : « إِنَّ [223. v.] الَّذِينَ إتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » .[9] وقال تعلى : « وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ » .[10]

فان قلت : كيف يكون[11] ذلك[12] من الشيطان وهو فيما يظهر دعاء الى

١) رب٢ : — لله .
٢) ق رب١ ك رب ٢ : + به .
٣) رب١ ك : العبادة .
٤) ق رب١ ك رب٢ : ذلك بأهل .
٥) رب٢ : المشاهدات .
٦) س : ذلك .
٧) قرآن : ٣٥ : ٦ .
٨) قرآن : ١٥ : ٤٢ .
٩) قرآن : ٧ : ٢٠٠ .
١٠) قرآن : ٤١ : ٣٦ .
١١) رب٢ : تكون .
١٢) رب٢ : — ذلك .

تصحيح الدين والحصول منه على اليقين وكيف يفرق بين الوسوسة المذمومة[١] والخاطر المحمود في ذلك وهما متشابهان فاعلم ان كون ذلك من الشيطان صحيح وانما ذلك لمخالفته للعلم ومضادته للتسهيل والتيسير والمباحة التي اتصف بها هذا الدين كما سبق فكان ذلك غلوا وبدعة وهـذا هو الفرق بينه وبين الخاطر المحمود لان الخاطر المحمود لا يدعوا الا الى موافقة العلم . والوسوسة ايضاً من شأنها الا تزول ولو احسن العبد في عمله ووافق السنة . والخاطر قد يزول اذا احسن . وهي علة لا دواء لها الا الالغاء عنها واتباع ظاهر العلم والرغبة الى الله تعلى في زوالها . وملاك هـذا كله التحقيق[٢] بالمشاهدات المذكورة اول الكتاب فذلك هو الاكسير الذي يقلب اعيان الاشياء وينتسخ الظلمة بالضياء والاماتة بالاحياء رزقنا الله منها[٣] ما رزق اولياءه بمنه وكرمه . وقد رُوي عن بعضهم انه قيل له[٤] : ان فلاناً يعتريه الوسواس فقال : عهدي بالصوفية يسخرون بالشيطان والآن الشيطان يسخر بهم » — وكان سيدي ابو العباس المرسي رضى الله عنه شديد الكراهة للوسواس[٥] في الصلاة والطهارة[٦] ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه . وقيل له يوماً : « ان فلاناً[٧] صاحب علم وصلاح وهو كثير الوسواس فقال واين العلم والصلاح يا فلان العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الابيض[٨] والسواد في الاسود » .

واما ما ذكرتم من انكم في بعض الاوقات تطالعون بعض الكتب من غير تعين كتاب او فن واحد فذلك حسن واحسن منه لو اشتغلتم بتقديم[٩] الاهم[١٠] فالاهم — والاهم انما هو ما تستفيدون به مزيد حضور ومراقبة ككتاب[١١] ابن عطاء وغيره .

واما ما ذكرتم من انكم تشتغلون بالتجويد في بعض الايام فذلك حسن

١) ر ب٢ — المذمومة .
٢) ف ر ب١ ك ر ب ٢ : التحقق .
٣) س : منه .
٤) ر ب٢ : وقد قيل لبعضهم .
٥) ف : للوسوسة .
٦) الاخر : الطهارة والصلاة .
٧) ف ق ر ب١ : — ان ؛ فلانٌ .
٨) ر ب٢ : — في الابيض .
٩) ر ب٢ : — بتقديم .
١٠) ر ب٢ : بالاهم .
١١) ر ب٢ : ككتب .

بشرط الا تعملوا بما اعتاده[١] الناس من غفلتهم عند ذلك ومراعاتهم لاصلاح السنتهم ومبالغتهم في [224.r.] اخراج الحروف من مخارجها مع الغفلة عن معاني ما يقرءون فتكونوا ضحكة للشيطان واحسن من ذلك لو التمستم رجلا له بصيرة في علم اليقين تجلسون اليه وتستفيدون منه وما اعز هذا في الوجود .

واما ما ذكرتم من ان اخي محمد بن اديبة رحمه الله ورضي عنه كان اشار عليكم بمطالعة الاحياء لابي حامد الغزالي فذلك رأي حسن لان الكلام فيه مبسوط مهذب قل ان يوجد في غيره الا اني لا أرى ان[٢] تقرءوا منه الا ما يشتمل على عبادة او معاملة . واما ما يذكر فيه انه من علم المكاشفة او ما لا يتعلق به عمل فان قرأتموه فلا تشغلوا هممكم[٣] به اذ لا فايدة لكم فيه . واكثر هذا انما هو في ربع المنجيات واما الربعين[٤] الاولين[٥] فاكثر ما فيهما فقه وهو فيه امام متفق عليه . واما الربع الثالث فاكثر ما فيه منقول من كتاب الرعاية مع زيادة تهذيب وتحرير وفيه زيادات كثيرة مفيدة . فهذا ما عندي فيه . واذا طالعتم كتاباً اي كتاب كان فلترفعوا همتكم في ذلك الى الله تعالى[٦] في ان يفهمكم ما هو الحق من غير اعتماد على عقلكم . ولتقدموا بين يدي ذلك الاستخارة فان ذلك ادنى الى اصابة الحق والظفر به . وقد نبه على هذا السهروردي في كتاب عوارف المعارف اعني تقديم الاستخارة على مطالعة الكتب .

والذي اوصيكم به اولًا وآخرًا ان لا تغفلوا عما ذكرناه لكم تصريحًا او تلويحًا من المشاهدات التوحيدية والمنازلات اليقينية وقد كررناها عليكم[٧] كذا كذا[٨] مرة وبنينا مسايلكم عليها مسئلة مسئلة الا ما غفلنا عنه منها

١) ف خ : + بعض .
٢) س : اني ارى ان لا ؛ رب ١ : الا ارى ان .
٣) ق رب١ ك رب٢ : همتكم .
٤) رب٢ ك : الربعان الاولان .
٥) ف ق رب١ : الاولين .
٦) ق ك : — تعالى .
٧) رب٢ : لكم .
٨) رب١ : وكذا .

حين الكتب وان تعولوا عليه وتركنوا اليه وتلتمسوه من مظانه وعند اهله فهو بحمد الله لباب اللباب والعلق النفيس الذي يتنافس فيه اولوا الالباب . واقل ما تستفيدون[1] به في دنياكم الراحة من شرورها وكروبها والاستغناء بالنعيم المعجل فيها عن التقيد بعاداتها والتعبد لاربابها وفي الحديث المأثور عن رسول الله صلعم : « كفى باليقين غنى » . واذا كان ارباب الدنيا المتشاغلون بها اذا اعتراهم الهم والغم فيها ومنعهم ذلك عما هم بسبيله من التمتع والتنعم بها يحرصون على ازالة ذلك عنهم بما يمكنهم من الاسباب وبما يكسبهم الروح والفرح فيها [224.v.] فتراهم عاكفين على شرب الخمر في المتنزهات والبساتين وعلى سماع النغم الموزونة من انفسهم ومن غيرهم وسماع اصوات الطيور وآلات الطرب وانواع الملاهي كما قال بعض الشعراء :

أصرفْ بصرفِ الراحِ عنكَ الأسى ورَوِّحِ القلبَ ولا تكتئِبْ
وقلْ لمن لامكَ فيما بهِ تَدفَعُ عنكَ الهمَ : قدكَ إتئبْ

مع ان هذه الاشياء لا اصل لها في الحصول على ما طلبوه بل ربما اعقبهم ذلك في دنياهم انواعاً من الكروب والغصص التي لا يرضى بها عاقل فضلاً عما يورثهم ذلك في اخراهم . فبأن يحرص طالب الاخرة على ما يزيل غمه وهمه[2] في الدنيا ليستقيم فيها على العبودية لربه عز وجل والتلذذ بمناجاته اولى واحرى . وليس ذلك الا بهذه المعارف التي ذكرناها . وفي بعض الاحاديث : « روحوا القلوب ساعة بساعة » . وقال بعض العارفين : « طيبوا حياتكم بالسكون الى مجاري الاقدار ولا تنغصوها بالاضطراب عند وقوعها فتتعبوا » — وقال بعضهم : « الرضى باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين » .

فهذا ما حضرني من هذا[3] الكلام على مسايلهم واظنه موافقاً لما طلبتم . والله تعلى ولي التوفيق لي ولكم الى ما يحبه ويرضاه والسلام عليكم وعلى جميع اصحابنا ورحمة الله وبركاته .

---

١) رب٢ : يتنافسون .
٢) ق رب١ ك رب٢ : همه وغمه .
٣) الأخر : — هذا .